المحاضرة الثانية: إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية وتطور نظام الحكم 1519–1830م.

هدف المحاضرة: تمكين الطالب من التعرف على أهم مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر في العصر الحديث وارتباط الجزائر بالدولة العثمانية.

المحتويات:

–تمهيد

- جهود الاخوة بربروس في تحرير الثغور المحتلة.
- ردود فعل الإسبان من انتصارات الإخوة بربروس .
- إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية.
- تطور نظام الحكم.

–واجب.

تمهيد:

كان المغرب الأوسط في العصر الحديث يعيش حالة من الاضطرابات الداخلية وخضوع بعض المدن والموانئ تحت الاحتلال الاسباني،لكن مع ظهورالعثمانيين الممثلين في الإخوة بربروس على مسرح الاحداث بالبحر الأبيض المتوسط منذ سنة 1512م ، بدأ الصراع العثماني الاسباني في الحوض المتوسطي الأمر الذي كان سببا في إبقاء المغرب الاسلامي الذي كان ينهار شيء فشيء، فكانت لهم مساعي كثيرة من أجل انقاذ المسلمين واعلاء كلمة الإسلام ، وخلال تعرض الجزائر للاحتلال الإسباني كان البحر الأبيض المتوسط مسرحا للانتصارات المدوية التي أحرزها الإخوة بربروس .

1– جهود الاخوة بربروس في تحرير الثغور المحتلة:

وضع عروج وخير الدين بربروس أنفسهم في خدمة الخلافة العثمانية ، خاصة بعدما ذاق عروج مرارة الأسر لدى فرسان القديس يوحنا في سفن النصارى،وعليه كانيعرف جيدا سلوكاتهم اتجاه المسلمين

، فخطط لهروبه وتمكن من الفرار سنة 1506م ، وبعدها عمل بالسفن الحفصية، اتخذ من جزيرة جربة قاعدة بحرية له ولقواته جمع فيها المتطوعين وأعد فيها السفن ، وباشر من هناك نشاطه الجهادي وسرعان ما ذاع صيته في عمليات الجهاد البحري ضد الغارات الإسبانية، ابتداءا من عام 1512م بدأ الإخوة بربروس العثمانيون يخترقون الآفاق وأخذت انتصاراتهم تعلوا صداها ضد القراصنة الإسبان في عرض البحر ، لذلك اتصل علماء وأعيان مدينة الجزائر والأمير الحفصي استصرخوه لنجدتهم وإنقاذ بجاية من الاحتلال الإسباني، فقام خير دين وعروج بجمع رجالهما وتشاوروا في الأمر وقرروا تلبية النداء، جاء العثمانيون إلى الجزائر سبب رغبتهم في الجهاد واهتمامهم بمواجهة العثمانيون بالقضاء على الفوضى التي كانت تتخبط فيها البلاد.

أعلم عروج وخير الدين المجاهدين أنهم قادمون وآخذت وفود تتوارد إلى مدينة الجزائر وعند وصولهم زحفوا إلى مدينة بجاية ، فلما هاجمته السفن الاسبانية تراجع الى الخلف وتمكن من اغراق سفينة والاستيلاء على الأخرىواضطر للرجوع الفوري إلى تونس من أجل معالجة ذراعه لكن لم يجد الأطباء يؤمئذ علاجا سوى بترها وبالتالي فقد عروج ذراعه لكن لم يفقد عزيمته وصلابته فصمم على فتح جيجل.

لقد اشتدت المواجهات الإسبانية العثمانية وخاصة في البداية لرغبة كلاهما في تحقيق الانتصار وهزم الاخر ومن أهم المعارك التي خاضاها الطرفان نذكر :

–تحرير جيجل من الإسبان (897 هـ/1515م): عاد عروج باتفاق مع خليفة ابن القاضي الذي ساعده في هجومه على جيجل المحاصرة بجاية في أوت من سنة 923 هـ/ 1541م حيث شرع في قصف المدينة بالمدافع بينما خاضها المجاهدون برا وتمكنوا من السيطرة على قلتها لكن المدينة استعصت عليه وظل يحاصرها لمدة ثلاث أيام وصلت خلالها الامتدادات الإسبانية متكونة من حواي خمسة آلاف رجل يقودهم ماشين دي فانتورا أمام هذه الوضعية الجديدة طلب عروج من السلطان الحفصي توفير امدادات سكرية له فرفض ذلك فاضطر للانسحاب.

–تحرير مدينة الجزائر (911 هـ/ 1529 م): في الوقت الذي حاول فيه عروج تحرير مدينة بجاية أوقد سكان مدينة الجزائر شخصيات بارزة لإقناعه وترجيه لتخليصهم من ظلم النصارى فقبل هذا الطلب، فكانت الحملة الأولى سنة 898 هـ/ 1516م كان القسم الأكبر من الجيش الذي بقيادة

عروج من البر بينما جاءت التعزيزات والإمدادات بقيادة خير الدين من جهة البحر وباشر يحفر خندق ونصب مدفعيته مقابل القلعة، وبدأ بالهجوم عليها بعد انذارهم بضرورة الجلاء من القلعة، غير أن ضعف مدفعيته منعه من تحقيق النتائج المرضية، وبعد عشرين يوم رأى سكان مدينة الجزائر أن عروج لم يحقق أي تقدم ولم يتحمل سليم التومي غطرسة العثمانيون وسوء معاملتهم له مما أغضب السكان فدبروا مؤامرة له للتخلص من خصمهم القوي الذي يزاحمه في تسيير الشؤون في المنطقة لكن عروج تفطن لذلك

2-ردود فعل الإسبان من انتصارات الإخوة بربروس:

اعتبر الإسبان استقرار عروج وأخويه بمدينة الجزائر خطرا شديدا عليهم وعلى مستقبلهم وعزموا على مقاومته وتحطيم سلطته وطرده، إذ تحالفوا مع أمير التنس يحي ابن سالم التومي الخاضع لهم.

وصل الأسطول إلى الجزائر أواخر سبتمبر 898 هـ/ 1516م ونزل قرب باب الواد، فتركهم عروج حتى وصلوا إلى البر، ليزحف بقواته عليهم، فقتل الكثير منهم وأسر الباقي وكانت هذه الكارثة مهولة بالنسبة للإسبان اذ لم يكد يخف ابتهاجهم حتى أعلن سكان البليدة ومليانة والمدية ودلس وبلاد القبائل خضوعها لعروج.

-تحرير مدينة التنس: كان موقف أمبر التنس الزياني مخزيا اذ تعاون مع الإسبان فكان يوفر لهم المؤونة وكل متطلباته لذلك قرر عروج الانتقام وإخضاع المدينة، فذهب إليهم على رأس قوته واقتحمها في شهر جوان 899 هـ/1517م وافتكها من أمير تنس وقتله وطرد الإسبان المتمركزين بها، ثم قسمها إلى قسم شرقي مركزه دلس يشرف عليه أخوه خير الدين وقسم غربي مركزه مدينة الجزائر يحكمها بنفسه.

-تحرير مدينة تلمسان 899 هـ/ 1517 م: بينما كان عروج في تنس ينظم أمورها ويصلح في شؤونها، حضر إليه وفد من سكان مدينة تلمسان ليشتكي له من الأوضاع المزرية التي آلت إليها منطقتهم وتهديد الإسبان الدائم لهم.

لبى عروج طلب الوفد مستخلفا أخاه خير الدين على مدينة الجزائر فاتجه إلى تلمسان ومر على قلعة بني راشد فوضع بها حامية عسكرية تحت امرة أخيه إسحاق ثم زحف إلى تلمسان وتغلب على أبي حمو الثالث وأخرج أبي زيان من السجن، وولاة تسيير شؤون المنطقة واعتبر الإسبان الوجود العثماني في المنطقة خطرا كبيرا فأسرع الحاكم الإسباني على وهران دي كوماريس إلى إسبانيا والتقي بكارلوس الخامس شارحا له خطورة الموقف عندها قرر الملك ارسال حملة عسكرية لتدارك الوضع قبل أن يتمكن العثمانيون من تحرير مدينة وهران.

3-إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية 902 هـ/ 1519م:

حاول سكان مدينة الجزائر الحفاظ على أمن بلاد الجزائر، ووجدوا في تعيين خير الدين حاكما عليهم حلالهم من أجل ضمان استقرارهم، وبعد استشهاد عروج استعصت الأمور على أخيه خير الدين لما رآه من كثرة المتآمرين عليه وتمرد بعض السكان، قرر مغادرة البلاد والالتحاق بالخلافة العثمانية في اسطنبول، لما علم سكان مدينة الجزائر بخبر مغادرته اجتمع العلماء والأعيان مطالبين إياه بالبقاء فرد عليهم وقال لهم: " إني عزمت على سفر إلى حضرة السلطان وامنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من مجاهدين ومن وصل إليكم من أهل الاندلس وما تركت بلادكم عندكم من العدة ،لأني تركت في بلادكم أكثر من أربعمائة مدفع ولم يكن في بلادكم إلا واحد فقالوا له: "يا أيها الأمير لا تطيب لنا أنفسنا بفراقك ولا نسمح بذلك فالله الله وأمة سيدنا مُحَمَّد فإن الله يسألك عنهم..."، فكتب سكان أهل المدينة رسالة إلى السلطان العثماني سليم الاول، يخبرونه بصرف الخطبة وضرب السكة عليهوولائهم وتعيين خير الدين حاكما عليهم

وبعد قبول السلطان سليم الأول طلب أهل الجزائر ،وعليه عين خير الدين بايلرباي أمره بحماية مؤلفة من ألفي انكشاري ونحو أربعة آلاف متطوع تمتع هؤلاء بامتياز الانكشارية ومدوهم بالسلاح والذخيرة وأعطى له حق ضرب السكة أي أمير الأمراء، وبهذا دخلت الجزائر طورا جديدا فقام خير الدين بتنظيم الجيش الإنكشاري ورياس البحر وأصبحت ايالة الجزائر العثمانية منذ هذا العصر من أهم مراكز الجهاد في البحر الأبيض المتوسط، واستطاع خير الدين استرجاع أمن البلاد خاصة بعد أن تمكن من القضاء على تمرد السكان مدينة الجزائر الذين دبروا له مؤامرة للتخلص منه ،إلا أن دهائه وخبرته مكناه من الرد

عليها وقصعها وبذلك ثبت خير الدين نظام الحكم عثماني في الجزائر إذ أصبحت هذه الأخيرة من أقوى الولايات العثمانية.

4-تطور نظام الحكم:

عرفت الجزائر منذ انضمامها للدولة العثمانية أربع فترات سياسية مختلفة، وقد تميزت كل مرحلة من هذه المراحل بأسلوب مختلف في تسيير شؤون البلاد. حيث تتمثل هذه المراحل فيما يلي:

1-مرحلة البيلربيات: (1518-1588م)، (920-995هـ)

2-مرحلة الباشوات: (1588-1659م)،(995-1065هـ)

3-مرحلة الأغوات: (1659-1671م)، (1065-1081هـ)

4-مرحلة الدايات: (1671-1830م)،(1081-1246هـ)

إلا أن المرحلة الأخيرة قد انقسمت إلى مرحلتين، المرحلة الأولى (1671-1710م) أما المرحلة الثانية (1710–1830م)، وقد عرفت هذه الفترة عدة تغيرات بدءا من إلغاء منصب الباشا في عهد الداي علي شاوش' هذا الأخير الذي قام بوضع حد نهائي لازدواجية السلطة، واستطاع إقناع السلطة العثمانية بقرار تعيينه كباشا إلى جانب منصب الداي' وبذلك أدمج منصب الباشوية مع منصب الداي، حيث أدار البلاد بشكل جيد، كما فرض سلطته وكلمته على مؤسسة الديوان حتى أصابه داء الملاريا.

واجب:

كان الحاق الجزائر بالدولة العثمانية ضرورة حتمية كيف ولماذا؟